وأعمل العبيد المتعطشون للثأر سيوفهم في جموع أهل البصرة « فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة ، وعظم الخطب وعمّها القتل والنهب والاحراق ، وقتلوا كل من رأوا بها من أهل اليسار وأخذوا ماله » ... وأحدقت النار بالمدينة من كل جانب فالتهمت كل شيء مرّت به . من انسان وبهيمة وأثاث ومتاع » .

وكان احتلال البصرة نصراً مؤزراً للزنج ، وكارثة مؤلمة بالنسبة للخلافة ، ذلك أن هذه المدينة كانت عين العراق وميناءه النهري الوحيد ، ومعنى السيطرة قطع التجارة العباسية الصادرة والواردة ، وتهديد جميع المناطق المجاورة . وقد أسهبت المراجع في وصف المآسي التي لحقت بهذه المدينة من جراء الاحتلال الزنجي ، حتى ليبدو انها تخربت إلى حد كبير ، وفقدت كثيراً من معالمها العمرانية منذ ذلك اليوم ، بل ما زال المثل السائر (بعد خراب البصرة) حياً في ذاكرة البصريين . ويقال ان ضحايا هذه الموقعة كانوا ٣٠٠ ألف ، وهو أقل تقدير لعدد القتلى من أهل البصرة في هذه المجزرة » .

ويروي المسعودي **(ج ٢ ، ص ٤٤٧)** ان كثيراً من أهل المدينة اختفوا في الدور والآبار ، فكانوا يظهرون في الليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفئران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء » .. **(ثورة الزنج ٨٩ — ٩٠)** .

والمسعودي كان يكتب عن ذلك العصر الذي عاشه ، وذكر أبو الفداء وغيره عدداً من العلماء الذين ذبحهم الزنج .

قال ابن الرومي (٢٢١ — ٢٨٣ هـ) يذكر هذه الحوادث :

لهف نفسي عليك أيتها البصـ ـرةُ لهفاً كمثل لهب الضرام
لهف نفسي عليك يا قبة الاسـ ـلام لهفاً يطول منه غرامي